تفسير القرآن الكريم

لقد كتبت مراراً حول هذا الموضوع الجليل ، فى شتى الصحف والمجلات ، ولا عجب فى ذلك ولا غرابة ، فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين ، وقانون العالمين ، وضياء الرب للحائرين ، ومائدته الكبرى للطاعمين ، ومنهله العذب الصافى للشاربين ، وحجته البالغة المؤيدة للمستبصرين : ولقد ساءنى حقاً أن أطالع هنا وهناك أشكالا وألواناً من التفسير فأرى أن أغلبها وأكثرها لا يستقيم على الطريقة ، ولا يوفى بالغرض ، وكنت دائماً أسائل نفسى : ألا ييسر الله لهذه الأمة من يفسر لها كتابها المجيد بأسلوب عصرى حديث ، يحسن الربط بين الماضى والحاضر ، ويجيد التعرض للمشكلات فيبسطها بسط الخبير اللبيب ، ليرى الناس كيف انطوى القرآن الحكيم على عظات وآيات هى غاية الغايات فى الهداية والتقويم ؟ ! .

كنت أسائل نفسى ، وكان كثيرون يسائلون أنفسهم هذه المساءلة من غير شك ، حتى طلعت عليهم الأقدار المسعدة بتلك المواسم اليعقوبية التى شهدتها دار الحكمة بالقاهرة خلال الأعوام الثلاثة الماضية ، والتى ندعو الله مخلصين أن يديمها على المسلمين حتى تكون لهم ريا ونوراً ورشادا . . . تلك المواسم هى مواسم تفسير القرآن الكريم التى فكر فيها وعمل لها ودعا إليها وسهر عليها وأنفق الكثير والكثير من أجلها الرجل المصلح ، والمسلم العامل ، والمجاهد فى سبيل الله بماله وعصبه الحاج يعقوب بك عبدالوهاب ، والتى اشترك فى إلقاء محاضراتها أربعة أعلام تجلهم مصر ، ويعرفهم العالم الإسلامى خير معرفة وهم الأساتذة الأجلاء ، والأماثل الأقطاب الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبدالوهاب خلاف والأستاذ عبدالوهاب حمودة ، والدكتور عبدالوهاب عزام ، وكل من هؤلاء الأعلام يستحق جزيل الشكر وبالغ الثناء ، وإن نكن قد حرمنا من الدكتور عزام فى هذه المحاضرات لسفره إلى المملكة العربية السعودية فى واجبه الوطنى فلا زلنا نذكر له ماقدم ، ولن ينتفع بحاضره من لم يربطه بماضيه ! . .

لقد تابعت هذه المحاضرات وحرصت عليها ، فرأيت كيف يعرض فيها أسرار القرآن الكريم عرضاً حديثا جديداً كله التشويق والترغيب ، وكيف تفسر ألفاظ القرآن وآياته تفسيراً فيه الدواء والغذاء لكل طالب ، فهذا شلتوت عالم يعرض الأهداف والمقاصد العامة للقرآن ، متناولا سور القرآن واحدة فواحدة ، فكأنه يضع لك المبادىء العامة والأهداف الكلية للقرآن ، ثم يريد أن يطبق لك هذه الكليات على جزئية من جزئيات القرآن فيتناول من السورة آية أو جملة آيات ، ثم يظل يدرسها ويحللها ويفسرها ويستخلص منها ويطبق عليها حتى يضع فى يديك المصباح ويدعوك إلى المسير ! .

وهذا خلاف عالم ثان ضليع متمكن ، قدير على استخلاص الأحكام ، والتوفيق بين الآيات ، وبسط الشبه ، ثم الكر عليها بما يدمغها ، فإذا هى زاهقة . وتصحيح الأوهام والأخطاء التى وقعت قديماً أو حديثا . وتعويد المسلم البصير على الموازنة فى الأقوال ، واختيار الراجح الأفضل منها ، لا عن هوى ، بل عن عمق نظر وطويل تدبر . . . وهذا حمودة أستاذ أديب ، طعم من القرآن طويلا ، وجلس إليه طويلا ، ونظر فى آياته وحروفه طويلا ، حتى يخيل إليك أنه قد اختلط به ودخل فيه ، ولذلك هو يبدو مشوقا فى قراءته وعرضه وأسلوبه ، وكثيراً ماروعك منه لفتات أدبية ووقفات ذوقية ولمحات بيانية تجعلك تؤمن بأن طول النظر فى القرآن يهدى إلى الأعاجيب ! . . وبمثل هذا التعاون فى عرض النواحى المختلفة لعظمة القرآن الكريم يكون التفسير فى هذا العصر الحديث ! .

إنى أومن بأن هذه المحاضرات التى استمع إليها المصريون خلال الأعوام الثلاثة الماضية فتح جديد فى تفسير القرآن ، ومن الواجب أن تتصل وتزيد وتتضاعف ، وأن يتسع نطاق نشرها ، وأن يطبع ما يقال فيها ، وأن يهتم لها المسئولون وغير المسئولين ، وأن يقتدى بها القادرون فيعملوا على غرارها فى مصر وفى البلاد الاسلامية ، ويومها سيرى الناس أنفسهم مدينين بالشكر والدعاء والثناء على الرجل المخلص الغيور الحاج يعقوب بك عبدالوهاب صاحب فكرة هذه المواسم ، ومن سن سنة فله اجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، والله يهدى العاملين ! !

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

من جدة الى الكويت

قال لى صاحبى : أحقا أنك مضيت من جدة إلى الكويت - بعد الحج - سبعة أيام بذلك الطريق الصحراوى وأنك قاسيت من المشقة مالا قبل لك به ؟

قلت : كل مشقة بجانب العلم تهون ؛ ولقد قيل « من يعن يرء ، ومن يمن يرأكثر » .

قال : فلعلك كتبت شيئا عن هذه الرحلة . قلت: لا ، ولكن وعت الذاكرة أشياء .

قال : أفلا تحدثنى عن بعض ذلك لعل فيه مايفيد ؟

قلت : هاك صوراً موجزة للعبرة والذكرى :

١ — الرفاق :

كان رفاقى فى السفر من أهل نجد ، وكلهم متعارفون ، وليس بينهم مصرى غيرى ، وعلى الرغم من مودتهم إياى ومحبتهم لراحتى قاسيت من جراء اختلاف العادات والطباع ولغة التفاهم بعض المصاعب ، وبهذا تجلت لى الحكمة القائلة « خذ الرفيق قبل الطريق » وعلمت أن المقصود رفيق موافق يعلم - إذا أراد معونتك - كيف يعينك

٢ — التزود :

تعود فريق من الناس أن يتزود بالاطعمة المحفوظة أو الجافة ؛ حرصا على النظافة والنقاء ، ولئلا يضم إلى مشاق السفر مشاق إعداد الطعام . وكنت أنا من هذا الفريق ، ولكنى تبينت فى سفرتى هذه أن طهى الطعام بالسفر أيسر وأصح من تناول الاطعمة المجهزة ؛ بيد أنه يحتاج إلى مرانة وترويض للنفس على خشونة العيش ؛ كما كان يصنع رفاقى هؤلاء ؛ إذ يذبحون ويحتطبون ويوقدون ويطبخون فى وقت قصير . وبهذا تذكرت ما رواه أبو عوانة من حديث أبى عثمان النهدى .

قال : أتانا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد « أما بعد فاتزروا وارتدوا وانتعلوا ، وارموا بالخفاف وألقوا السراويلات وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل ﷺ ، وإياكم والتنعم وزى العجم ، وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب ، وتمعددوا

رئيس المحاكم إلى وزير العدل وحضرة مدير عام المحاكم بمصر :

حضرة صاحب المعالى وزير العدل الأفخم .

تحية واحتراما لمعاليكم .

وبعد ؛ فباسمى وباسم حكومة سيدى صاحب السمو أمير الكويت المعظم ، أرفع لمعاليكم شكرى الجزيل لما أسديتموه لنا ولحكومة الكويت من معونة كبرى بندب أصحاب الفضيلة الشيخ محمد كامل الشمسى رئيس القضاء الشرعى فى الكويت ، والشيخ على عبدالله سليمان ، والشيخ عثمان عبدالعزيز القاضيين الشرعيين .

وأردفه بشكرى الخاص لشخصكم الكريم لما بذلتموه من خدمة للحق والدين والعروبة ، هذا وختاما أرجو من الله تعالى للفاروق العظيم عمراً طويلا ولرجال دولته سداداً وتوفيقا ، ولمصر العزيزة مستقبلا سعيداً .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ودمتم ؟ رئيس محاكم الكويت

عبدالله الجابر الصباح

حضرة صاحب السعادة مدير عام المحاكم بوزارة العدل مصطفى بك كامل المحترم ، تحية واحتراما .

وبعد ؛ فبمناسبة وصول صاحبى الفضيلة الشيخ محمد كامل الشمسى رئيس القضاء الشرعى فى الكويت ، والشيخ على عبد الله سليمان القاضى الشرعى ، أرفع شكرى الجزيل لسعادتكم على كرم معونتكم لنا بانتدابهما مع فضيلة الشيخ عثمان عبد العزيز ، الذى نأمل وصوله ، وإنى إذ أكرر شكرى على مساعدتكم هذه ، وتقديرى لما قمتم به من مجهود ، أرجو لكم السداد والتوفيق والمستقبل الزاهر . وختاما أسأل الله الكريم للفاروق العظيم عمراً طويلا ، ولرجال حكومته سداداً وتوفيقا وللكنانة مستقبلا مجيداً .

وتفضلوا بقبول احتراماتى ودمتم ؟

رئيس محاكم الكويت

عبد الله الجابر الصباح

◎ عين الشيخ أحمد بن خميس ، قاضيا فى المحكمة الشرعية . هذا وقد أنشئت محكمة شرعية جديدة ، بحيث أصبحت هناك هيئتان شرعيتان ، أولى وثانية .

واخشوشنوا واخلولقـــوا واقطعوا الركب وارموا الاغراض وتروا » (١)

٣ — المطاوعة :

يطلق النجديون كلمة «المطوع» بكسر الميم وتشديد الواو مفتوحة - على من يقوم بإمامة الصلاة ونحوها ، ويجمعونه على « مطاوعة » والمطوع ليس له مظهر من اللباس يميزه عن غيره ، لكن من مظاهره أنه ينبه من معه إلى أوقات الصلاة دائما ، ثم يؤذن ويقيم ويقف إماما ، ولا يرضى لغيره أن يقوم بهذه الوظائف ، بل لا يشعر أن هناك من هو أولى بها منه حضرا وسفرا ، إلا مطوعا آخر من أهل بلده ، ولا يفكر أحد من غير المطاوعة أن يقوم بشيء من هذه الشعائر حتى الاذان والإقامة . ومن مظاهر المطوع أيضا أنه فى الغالب جميل الصوت رفيعه ، يقرأ الفاتحة وما بعدها بنغمه خاصة تمتاز بالتغنى مع التحزن ، فيشرع بالاحرف الصحيحة حتى يأتى حرف المد فيطوله قليلا أو كثيراً حسب جريان الصوت ثم يسرع بالاحرف الصحيحة بعده حتى يأتى حرف مد آخر ، وهلم جرا ، وقد يكون حرف المد فى آخر الكلمة التى يريد الوقف عليها فيطوله ويلحق به هاء سكت ، مثل « والضحى » يقرؤها بعضهم عند الوقف « الضحاه » ومما يثير الاسى ويبعث الحزن أن هؤلاء المطاوعة لايحسنون من أحكام التلاوة كثيرا ولا قليلا ، ويلحنون اللحن الفاحش فى الاذان والاقامة وقراءة القرآن حتى الفاتحة .

فى مبدأ سفرى قلت لرفاقى وقد غربت الشمس ألا نصلى الآن ؟ فكلهم قال بلى - وقد عرفوا عنى أننى من علماء الأزهر - فانتظرت حتى يتوضئوا لنصلى جماعة ، وإذا بأحدهم وكان مطوعا ، يؤذن فيقيم فيخطو إلى الأمام فيكبر للصلاة والقوم خلفه ، فصففت معهم لأقتدى به ، فسمعته يلحن فى الفاتحة لحنا لاتصح معه الصلاة ، إذ حذف الهمزة من « إياك نعبد » ووصل ما بعدها بآخر الآية السابقة ، ولحن بعد ذلك لحنات أخرى ، فأثبت الهمزة فى «إهدنا» مع أنه وصلها بما قبلها وقال « غير الما غاظوب علهم ولا الظالين » . حينئذ تقهقرت حتى أتموا الصلاة ثم شرعت أصلى وحدى بعيدا ، فلما فرغت قال - بلهجة الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر - لم لم تصل معنا ياشيخ ؟ يد الله مع الجماعة ، قلت : كنت والله أريد الجماعة ولكنى لم أستطع الاقتداء بك ، لأنك حذفت الهمزة من إياك نعبد وهذا يبطل الفاتحة ، والصلاة بغير الفاتحة لاتجوز ، فتكلم فى نفسه بكلام لم أسمعه ، وظننته فهم ما أعنيه أو اقتنع به وإذا به يعيد الكرة فى جميع الصلوات مع بقاء اللحن على حاله ، غير أنه لم يؤاخذنى بعد ذلك بترك الاقتداء به حتى افترقنا بسلام .

وليست المسألة مسألة هذا المطوع وحده ، فكم من مطوع سمعت قراءته فى سفرتى هذه ، حيث تبيت عدة سيارات ببعض المواقف ، فتسمع فى الفجر الأذان والإقامة والصلاة فى أماكن متقاربه إذ يصلى كل مطوع بجماعته الذين يصحبهم ، وليس فيهم من يصحح الأذان ولا الإقامة ولا الصلاة .

أما الوضوء فإننى لم أشاهد أحدا من المطاوعة يتوضأ أمامى ، ولكننى رأيت من صادفنى من الرفاق لا يحسنونه بل لايأتون به على وجهه الصحيح ، فإن الواحد منهم يأخذ الماء بيديه أو بإحداهما فيضعه على عينيه وما دونهما ، ثم يصعد بيديه فارغتين فيمسح بهما جبهته وباقى وجهه ويأخذ غرفة من الماء يسير بها على باطن ذراعه إلى المرفق ثم يمسح ظاهر ذراعه بيده خالية من الماء ، فإذا نصحته قال هذا ما تعلمناه والله يغفر لنا .

على حسن البولاقى

شيخ المعهد الدينى بالكويت

---

(١) «تمعددوا تخلقوا بعادة أبيكم معد بن عدنان فى خشونة العيش و « اخلولقوا » استووا ، و « اقطعوا الركب » اى إذا ركبتم فاتركوا الركب المعتادة للعجم فى سروجهم ، وذلك لتعود الخشونة ، و«ارموا الاغراض» اى ارموا الاهداف بالسهام لتعلم الحرب و « تروا » أى اقفزوا على الخيل من الارض ولا ترتفعوا على حجر ونحو ذلك للتعود على النشاط . ومقصود عمر بالاثر كله اعتياد الخشونة ومحافظة العرب على تقاليدهم لتبقى قوتهم .